الفصل الثالث : المرجعية النهضوية

المبحث الأول :عمارة ناقدا للعلمانيين الغربية

أولا : :موقف الدكتور محمد عمارة من الخطاب الحداثي الغربي

ثانيا : التخليل النقدي للأسس المنهجية لدى المشروع الحداثي

المبحث الثاني : رؤية الاتجاه الإسلامي للخطاب الحداثي العربي

أولا/ نقد محمد عمارة للفكر الحداثي العربي

1/الموقف الفكري

2/النظرية الإسلامية في التأويل

ثانيا /نقد محمد عمارة للفكر العربي الحداثي ألجا بري نموذجا

الفصل الثالث : المبحث الأول :

المرجعية النهضوية :

-موقف محمد عمارة من الخطاب الحداثي الغربي مقارنة مع عابد الجابري

كان موقف الدكتور محمد عمارة ناقدا من خلال تحليل الأصوات الفكرية لنشأة العلمانية في الغرب ثم بيان خطا العلمانيين العرب في تبني الفكر الغربي الناتج عن تلك الضر وف التي أسسها الصراع بين رجال الكنيسة _الدين _والدولة الحكم العلماء المثقفون وخطؤهم _ كذلك- في تبني المناهج العربية التي افرزها هذا الصراع في قراءة وتأويل النصوص الإسلامية لمعايرتها لقواعد اللغة العربية وضوابط التأويل الإسلامي للنصوص ولان المناهج الغربية في تحليل الكتاب المقدس نشأة كردة فعل للصراع بين المسيحي وهي أمور يتعرض لها القران الكريم أو السنة قامت حولها أو سع علوم التوثيق وأدقها في تاريخ العلم الإنساني

لهذا فان الاتجاه الإسلامي يرفض استخدام المناهج الغربية في تأويل النصوص الدينية الإسلامية وقراءتها ولكنه يعتمد على المناهج الإسلامية في التأويل للنص الديني وفق ضوابطه وشروطه _كما سبق بيانه[1] _ وكذلك يرفض التأثر بالتجربة الغربية في علاقة الكنيسة بالدولة التي أدت إلى تبنى العلمانيون العرب فلسفة فصل الدين عن الدولة وهي فلسفة مرفوضة لمغايرة النظام السياسي الإسلامي للنظام الكنسي الغربي الذي تسبب في الصراع الذي أدى إلى تبني الرؤية العلمانية في الفصل بينهما كما سيأتي لاحقا

تعقيب : من خلال دراسة ا راء الاتجاهين يتضح إن ــ الجابري بوصفه نموذجا للفكر الحداثي ينطلق في موقفه النقدي للخطاب النهضوي الإسلامي من موقف رافض للمرجعية الإسلامية في عملية النهضة لذلك فان نقده توجه مباشرة رواد الفكر الإسلامي

[1] أنظر الجابري المشروع النهضوي العربي ص79-83

الحديث : الأفغاني ومحمد عبده متهما لهما بمحاربة كل الأفكار ومظاهر الحداثة الغربية وعلومها وان دعوتها توقفت عند مجرد الدعوة إلى الإسلام كما كان عليه أول أمره وقد قمنا بتنفيذ دعواه تلك وكذلك يحاول الجابري الربط بين أفكار الأفغاني و محمد عبده وأفكار الجماعات الإسلامية التي كانت مقترنة بالعنف في البلاد الإسلامية في العقود الأخيرة من القرن العشرين [1]ويختلف الاتجاه الإسلامي لدى محمد عمارة مع هذا الموقف الحداثي في هذه المزاعم .لان مصادر الانحراف الفكري لدى جماعة العنف في العالم الإسلامي تعود إلى : الانعكاس ورد الفعل النفسي لعمليات التعذيب في السجون الناصرية الانعكاس الفكري لأراء المودودي وسيد قطب والاستلهام الخاطئ لبعض أفكار ابن تيمية في مسالة الفتوى التتار وفي تكفيرية لأصحاب الأفكار الضالة ورغم اندثار الفهم الخاطئ لفتوى التتار إلا أن الاستلهام الخاطئ لمواقف ابن تيمية الذي كفر فيه أصحاب الأفكار الضالة لا زال ساريا لدى بعض المدعين للسلفية في الفكر المعاصر

ثانيا التحليل النقدي للأسس المنهجية لدى المشروع الحداثي :

يتضح إن الموقف النقدي للخطاب الحداثي عند الجابري هو نقد ذاتي ينطلق من موقف حداثي غربي يتبنى المرجعية الحداثية الغربية في النهضة تلك الحداثة التي تستند إلى أسس فكرية ماركسية ضد على الحداثة والرأسمالية الليبرالية أما محمد عمارة فهو ينقد ويقوم الاتجاه الإسلامي وتياراته لينطلق منها في مشروع النهضة الإسلامية بناء على المرجعية الإسلامية مؤسسة على الرسالة القرآنية والسنة النبوية ،ومستفيدة من التجارب الفكرية الإسلامية لدى الإمام محمد عبده وتلاميذ المدرسة المنار ،الذين سارو على منهاجها في تبني المرجعية الإسلامية والتجديد من خلالها وتقاوم فكريا : دعاة المرجعية النهضوية الغبية سواء اكانو ليبراليين أم ماركسيين ، بناء على تجربته الفكرية في فهم مرامي الاتجاه العلماني وأهدافه .وعلى اختلاف المنطلق النقدي ،يتفق عمارة والجابري

[1]انظر الجابري المغرب المعاصر .ص 65.

على إن :من أسباب نمو (الجماعات الإسلامية المقترنة بالعنف)في البلاد الإسلامية ما يعود إلى:فكر المودودي ،والسيد قطب ،الذي وجد تربته الخصبة في مصر ،حيث مارست التجربة الناصرية [1] ، وفي المغرب ظهور الإلحاد المنكر للدين بين صفوف التيار اليساري ،الذي استفز كثيرا من المتدينين خلال فترة السبعينيات في المغرب [2].انفرد محمد عمارة بالتحليل والاستلهام الخطأ ليعص أراء ابن تيمية ومقصد عمارة في نقده لتلك الجماعات هو التقويم النقدي بهدف العودة إلى الفهم المعتدل لمنهج الإسلام في الإصلاح ، وليكون جميع المؤمنين بالمرجعية الإسلامية قوة فاعلة في بناء المجتمع ،لا قوة هادمة رافضة .أما الجابري فهو يربط بين ممارسات تلك الجماعات والمؤلفات في مجال الفكر الإسلامي ،مع الخلط بين المتدلين والمتشددين من ذوي الإنتاج الثقافي الإسلامي ،لان المغرب اعتمدت –في رأيه– «سياسة الباب المفتوح »في : «مجال الكتب ومجلات ،فان المؤلفات سيد قطب والمودودي والغزالي ولشعراوي وغيرهم ،مثلها مثل المجلات الإسلامية التي تصدر في البلدان العربية الأخرى : كل ذلك معروض في الأكشاك والمكاتب ،جنبا إلى جنب مع كتب ماركس وانجلز ولينين ...وهكذا فعندما تعتمد هذه الجمعيات كتابات قطب والمودودي ..الخ ،في تكوين أعضائها فهي تعتمد مراجع في متناول الجميع » [3]

وهذا تعميم خاطئ يساوي فيه الجابري بين مؤلفات الاتجاه الإسلامي المعتدل لدى الشيخ محمد الغزالي والشيخ الشعراوي ، وبين غيرهم من ذوي الأفكار المتشددة والذي يهدف إليه الجابري وهو توجيه الجمهور المغربي المثقف إلى كتابات ماركس ولينين وانجل ولتكريس المشروع النهضوي الماركسي

لهذا فان الجابري يفسر الانقسام في مرجعية مشروع النهضة في العالم الإسلامي –إلى :

[1] انظر محمد عمارة الطريق إلى اليقظة الإسلامية ص272
[2] /انظر محمد عمارة الطريق إلى اليقظة الإسلامية ص272
[3] /انظر: السابق ص70

ثقافة علماء الاختراق : «موقف الاغتراب »: وتعود والى المرجعية الأوروبية المطبوعة بطابع الحداثة الغربية التي تعني أول ما تعني القطيعة مع ثقافة الماضي ،أي ماض كان والتمسك بالعصر كلحظة حاضرة تكفي نفسها بنفسها هذا الانفصام من المرجعية من مظاهره : الصراع في ثقافته العربية اليوم –كما يذهب الجابري –الذي أدى إلى تنافر والتنابذ وغياب التواصل والحوار بين مرجعيتين احدهما : قديمة تنتمي إلى الماضي ولكنها وطنية تحمل معها مصداقيتها التاريخية ،والثانية حديثة أجنبية الأصل ،فالأصل والمصدر لكنها تفرض نفسها كمرجعية عالمية ،كحاضر ومستقبل للعالم كله [1]

وإذا كان الجابري يصف المرجعية الأولى بالانغلاق ، والثانية بالاختراق، وهما اتجاهان مرفوضان لديه، فما هي المرجعية النهضوية التي يدعو إليها ؟

ينطلق الجابري من المرجعية الحداثية التغريبية يأخذ فيها على موقف الاغتراب انه خلال قرن كامل من التبشير كدعوى من قبل مفكرين عرب لم ينتج سوى فئة من العصرانيين قليلة العدد ، بينما يزداد الطرف المقابل لها عددا وعدة وكما وكيفا وفي جميع الأقطار العربية وداخل جميع الشرائح الاجتماعية ، وهكذا فبدلا من تيارات حداثية تمارس الهيمنة والقيادة وتستقطب الأجيال الصاعدة –بدلا من ذلك –يسود الحديث عن «الصحوة الإنسانية»بوصفها الظاهرة المهيمنة [2]

لذلك فان الجابري يدعو إلى تحديث النزعة التغريبية لمواجهة أمرين :

ا–تيار العولمة بما يحمل من آليات وقيم وأفكار تنتمي إلى المعسكر الأمريكي الرأسمالي .

ب–تيار الانغلاق الذي يمثل المرجعية العربية القروسطية .

[1]/انظر : السابق ص218
[2]/ انظر السابق ص218

وذالك بتجديد الفكر الحداثي العربي من خلال وصله بالتراث العربي الإسلامي ،مثلما فعلت التجربة الحضارية الأوروبية عندما وصلت بين تراثها الإغريقي واللاتيني وفكر النهضة والحداثة والأنوار [1]

وكذلك فان تجديد الثقافة العربية ،كأي ثقافة أخرى لا يمكن أن يتم إلا من داخلها بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها ، والتماس وجوه من الفهم والتأويل لمسارها ،تسمح بربط الحاضر

بالماضي في اتجاه المستقبل [2]لم يصيب الجابري في وصفه لفكر الصحوة الإسلامية العاملة من اجل المرجعية النهضوية السلامية ، بأنها :قروسطية ،تراثية منغلقة ، فهذا التعميم غير مقبول من مفكر مثل الجابري ، لان المدارس الفكرية الإسلامية في مجال النهضة تضم كثيرا من المفكرين الذين لهم مشروعاتهم الفكرية المستنيرة ،التي لها موقف معتدل من الحضارة الغربية ، ومنا هج تجديدية للفكر و الواقع :إلا أنها مستقلة عن التأثر بالتجربة الحضارية الغربية ، وعصورها العلمانية،ومرتبطة بالرسالة القرآنية وبياناتها النبوية .ويلاحظ إن الجابري في تصنيفه للاتجاهات إلى موقفي:الاغتراب ، والانغلاق يتجاهل« الفئة الماركسية »وهي التي يصطلح عليها محمد عمارة «العلمانيون لثوريون »–والجابري بهذا قام بعملتين مزدوجتين : نفي المرجعية الإسلامية، لأنها قروسطية منغلقة و إقصاء المرجعية التغريبية بالمعنى الليبرالي المنتمي إلى فكر المعسكر الأمريكي الرأسمالي القائد للعولمة وثقافة الاختراق .إما المرجعية الماركسية بالياتها ومناهجها التي يستخدمها الجابري في تجديد الفكر الإسلامي [3]فهي الايديلوجيا المختارة لديه .إذن هناك انقسام في الساحة الثقافية العربية الإسلامية المعاصرة حول مرجعية المشروع الحضاري الإسلامي ،فالإسلاميون ،هم الملتزمون بالإسلام فكرا وحركة ،واعتباره المرجع الضمني

[1] /انظر : الجابري المسالة الثقافيةص225-256
[2]/انظر : السابق ص272
[3] /انظر محمد عمارة أزمة الفكر الإسلامي

والمعلن في صياغة معالم المشروع الحضاري ،كي يكون دليل عمل للنهضة الإسلامية المنشودة .لكن هذا الذي لا يختلف عليه الإسلاميون هو موضع خلاف مع قطاعات مؤثرة من المسلمين الذين وان تدينوا بالإسلام عقيدة وشعائر ،إلا أنهم لا يلتزمون به مرجعا للدولة وسياسة المجتمع وتنظيم شؤون العمران ،مما احدث خلافا حول مرجعية المشروع الحضاري بين الإسلاميين وبعض المسلمين [1]ولكن أين هم الإسلاميون المتفقون على مرجعية المشروع الحضاري اليوم ؟ان فصائل هذا الاتجاه تحمل فيما بينها من شدة إلباس والغرام بالخلاف حول المسائل الفرعية الصغيرة ،وذلك على صفحات الجرائد، وشاشات الفضائيات والمطبوعات الفاخرة ، ما قد ينفر غير المسلم من الإسلام ،وما ينفر المسلم العامي من الفكرة الدينية الإصلاحية لدى الدعاة والمفكرين ،والخطر الأكبر هو نفور النخب الحاكمة الصانعة للقرار من هؤلاء الدعاة والمفكرين ،ومن المرجعية الإسلامية جملة ،وتقريبها من العلمانيين بوصفهم مفكرين حضاريين هادئ الطباع وانقسام العقل المسلم حول مرجعية المشروع الحضاري بين الإسلاميين وبعض العلمانيين –اغلبه صراع فكري وليس عقائدي أي حول مفهوم الدولة الإسلامية وليس العقيدة ،ومن ثم فهو خلاف في الفروع ولدلك فان معايير الحوار فيه والحكم على فرقائه ومقولاتهم إنما يكون بمصطلحات الصواب والضرر والنفع ، وليس بمعايير الإيمان والكفر ولهداية والضلال [2]

وفي هذا دعوة للائتلاف والتكتل الفكري حول المتفق عليه لإثبات جدارة الإسلام الحضاري لا العنف في الحياة الثقافية ، فالخلاف اليوم يتمحور حول الفروع المستجدة لا لعقائد ، فهناك إمكانية التأسيس لمرجعية الإسلامية داخل هذا الفصيل العلماني ،لان دعاة فصل الدين عن الدولة –اليوم–من العلمانيين والقوميين والوطنيين ومن المفكرين والساسة والأحزاب اغلبهم منبهرين بنهضة الغرب عند مقارنتها بتخلف النموذج العثماني الذي اعتقدوه هو النموذج ، الإسلام فضن وان استعارة النموذج الغربي في الحضارة هو

[1] / انظر محمد عمارة أزمة الفكر الإسلامي الحديث ص66
[2] انظر السابق ص68

السبيل إلى نهضة الشرق [1]وهذا لا يعني الاتفاق مع كل الفصائل العلمانية فيما تذهب إليه من أفكار ومناهج تطعن من خلالها في الأصول العقائدية ، والهوية الحضارية للأمة كما يوجد لدى :

أ –العلمانيون التغريبيون :وهم الداعون بوعي الى تبني النموذج الحضاري الغربي باعتباره السبيل إلى إزاحة الإسلام عن طابع الحياة وهي امتداد لفكر :شبلي شميل1918 وسلامة موسى 1958ولويس عوض 1990

العلمانيون الثوريون :أصحاب النزعة المادية التي لا تقنع بمجرد فصل الدين عن الدولة ،وإنما تطمح إلى نزع التدين من العقل والقلب ،والفكر والثقافة والمجتمع ،وهم بهذا جعلوا الخلاف في الأصول [2] ورغم هذا يجب أن يكون الحوار ممثلي تلك الاتجاهات فكريا مهذبا يتسم بالروح العلمية الباحثة عن الحقيقة ،عن طريق المناقشة ، والمحاورة ،ونقد الآراء ودحضها وبيان الطرح الإسلامي، لها مع التحلي بالاحترام والوقار حتى مع أقصى درجات الخلاف .

المبحث الثاني :

– رؤيا الاتجاه الإسلامي للخطاب الحداثي العربي :

أولا:موقف محمد عمارة من الخطاب الحداثي العربي :

إن الجديد في التطور الحالي للعلمانية العربية أنها عادت إلى الدين والتراث ،بمناهج الفكر الحداثي الغربي في التأويل [3]وهي مناهج نشأت في بيئات غربية ،لا صلة لها بالدين الإسلامي والتراث .

وعند تحليل لموقف محمد عمارة من المشروع الحداثي ونرى إن نقده يتناول جانبين :نقد ظروف نشأة العلمانية وأثرها في المفكرين العرب ، والثاني :نقد الأسس الفكرية لدى المشروع الحداثي العربي .

[1]/انظر : السابق ص68
[2]/انظر : السابق ص69--70
[3] انظر الفصل الأول المبحث الأول

وقد تكفلت مصادر عديدة ببيان مفهوم العلمانية ونشأته في الغرب وكيفية انتقاله في العالم الإسلامي في إطار عملية التغريب الثقافي والغزو الفكري ،غير إن الذي يهتم به البحث في هذا الموضوع هو التحام الكتلة العلمانية الماركسية والكتلة العلمانية الليبرالية في جبهة فكرية واحدة لتكريس مشروع للنهضة يهدف إلى علمنة الفكر والثقافة والمجتمع ،وهو ما يتوجه إليه النقد لبيان التصور الإسلامي ن خلال مفكري هذا الاتجاه خاصة محمد عمارة .وفي هذا المبحث نتناول تحليل التصور الإسلامي في انعكاس نشأة العلمانية وضر وفها المحيطة بها في الغرب على المفكرين الحداثين العرب ،في المحور الأول من هذا البحث ،وفي المحور الثاني : التحليل النقدي للأسس المنهجية لدى مشروع الحداثي .

1/اثر الفكر العلماني الغربي على العلمانيين العرب –من وجهة نظر محمد عمارة

:تعود أصول الفكر العلماني إلى الفكر اليوناني القديم ،حيث تبلور خلاله تياران فلسفيان ماديان :

أولهما :تيار فكري ألاهي يؤمن بخالق لهذا العالم ،لكنه دنيوي يتوقف بعمل الإله عند الخلق والإيجاد والتحريك ،ويحيل تدبير العالم إلى نواميس الكون والأسباب المادية المركبة في ظواهره .

والأخر : تيار مادي تبلور عند «طاليس 578ق م » «و انكسيمانس 525ق م»«وهرقليطس483ق م»الذين ذهبوا إلى أن المادة مستكفية بذاتها مستغنية عن خالق بوجدها ،واستمر هذا التيار المادي في الفلسفة الغربية حتى القرن التاسع عشر،فبلغ ذروته في المادية الجدلية عند كارل ماركس وفريدريك انجلز [1]

المسيحية وعصر الحكم البابوي :دخلت المسيحية الدولة الرومانية في عصر «قسطنطين الكبير 338م »وطوعت للنزعة الدنيوية في النظر للإله التي كانت الفلسفة اليونانية الإلهية ،وضل هذا الاتساق بين المسيحية والفلسفة الإلهية ،إلى أن جاء عصر

[1] /انظر : محمد عمارة : الاسلامين التنوير والتزويرص20ط22002دار الشروق القاهرة

الحكم البابوي الذي جمعت فيه البابوية السلطة الزمنية إلى السلطة ألاهية ولما كانت النصرانية لا تملك شريعة للعمران البشري ،بل تركزت تعاليمها ووصاياها على خلاص الروح ، وهي ثوابت ليست فيها المرونة التي تقتضيها طبيعة العمران المتطور دائما ،فلقد ثبت الحكم البابوي الكنسي المتغيرات الدنيوية ،بل وأضفى عليه قدسية الدين ،الأمر الذي أوقف تطور العلم والفلسفة فدخل الحكم البابوي الكهنوتي إلى ظلمات الحضارة الأوربية في العصر الوسيط[1]

عصر النهضة:تعود جذوره إلى القرن السابع عشر ميلادي، وفيه ظهرت وتبلورت فلسفة التنوير الرافضة لتجاوز الكنيسة لحدودها : والمدافعة عن النزعة الدنيوية العلمانية للنزعة الأوربية ، وداعية إلى العقل الذي استبعدته الكنيسة ،والعقل الذي قهره اللاهوت والتحرر من سلطة تقاليد الكنيسة ، التي كانت سوقا تجاريا ، راجت فيه مفاسد القساوسة والباباوات ،ففي مواجه الفعل الذي تمثل في تحالف الكنيسة والإقطاع كان رد الفعل التنويري الذي أعلن رفضه لسلطان الدين على الدنيا ولتخل السماء في العمران الأرضي ،ورافعا شعاره القائل : لا سلطان على العقل إلا العقل [2]

عصر التنوير : حيث كان القرن الثامن عشر عصر التنوير الأوروبي :وتطور عن العصر السابق من من مجرد تحديد تخصصات الكنيسة عند خلاص الروح ومملكة السماء إلى تجاوز ذلك بتمجيد العقل بديلا عن قداسة الدين ،وشن حملة شعواء ضد الدين والكنيسة ، و إنكار عالم الغيب والجزاء الأخروي وجعل مقاييس الفصيلة في مدى ما تقدمه من الخير الاجتماعي [3]

عصر الحداثة : امتد تأثير فكر الأنوار في القرن التاسع عشر والعشرين وأصبح يشير إلى : «فلسفة المجتمعات الغربية وثقافتها من حوالي 1850الى 1950 أي الفترة المتفجرة التي حقق فيها المجتمع ما بعد الثورة ،والمجتمع البرجوازي ، انجازات

[1] انظر السابق: ص 21
[2] /انظر السابق ص21-22
[3] انظر السابق ص22-23

انجازات هائلة تكنولوجية وفكرية ،وقاسى ويلات حربين عالميتين ،وشهد تحول حضاريا كاملا في ظروف المعيشة والعلاقات الاجتماعية»

ومن أهم ما يتوجه إليه النقد لهذه المرحلة في المشروع الإسلامي المعاصر :هوان الحداثة تقيم قطيعة معرفية مع الدين من جهة ،وتستخدم المصطلحات الدينية من جهة أخرى [1]

اثر الفكر العلماني الغربي على المفكرين العرب :

أدى الفكر العلماني الغربي في العالم العربي عن وجود اتجاهين :ليبرالي وماركسي [2] وقد كان لتبني الفكر الاشتراكي بما يحتويه من أبعاد فكرية أثره في ضعف المؤسسة الدينية ، وترسيخ فكرة الفصل بين الين والدولة في عصر الحكم الناصري والنظم السياسية العربية المتأثرة به ،الذي تطور بعد سقوط الماركسية –في اكبر معاقلها –إلى التحول إلى الليبرالية فكرا وممارسة ،مع بقاء نزعة السيطرة على المؤسسات الدينية من أهم الظواهر الفكرية التي حدثت بعد سقوط نظام الماركسي الروسي ،تحول رموز المثقفين والمفكرين الماركسيين العرب من موقع المعارضة للنظم والحكومات العربية التابعة للغرب الرأسمالي الليبرالي إلى موقع التأييد ،وكان من ابرز جهودهم –كما يصفها محمد عمارة –:

أصبح أفصح مؤسسات الإعلام والثقافة في مواجهة المشروع الإسلامي ،الذي أصبح أكثر مشروعات التغيير للواقع قبولا للجماهير.

ب/تبنو ليبرالية الغرب فاصبحو يتحدثون عن الوطنية بدلا من الأممية ، وقد كانوا يرونها من قبل تعصبا وضيق أفق ،واصبحو يتحدثون عن الليبرالية ،وكانت قبل ذلك في نظرهم سبة لما تعنيه من رأسمالية في الاقتصاد وعلاقات الإنتاج .

[1] /انظر: د.محمد عمارة في فقه الواجهة بين الغرب والإسلام

[2] /انظر: الفصل الأول من البحث الأول

ج/بعد أن كانوا يصورون رفضهم للدين والتدين بحسبانه من مقتضيات تحقيق المشروع الشيوعي في الاقتصاد والاجتماع ،وهو المشروع الشيوعي: عنه انه لابد من استناده إلى المادية الجدلية في تفسير الكون والوجود ،والمادية التاريخية في تفسير الصيرورة والتاريخ ،رأيناهم وقد تزايد نقدهم للدين حتى بعد سقوط المشروع فتصاعدا احتضانهم للآليات والوسائل حتى بعد سقوط المقاصد والغايات حتى كان لم يبقى من رسالتهم إلا العداء للذين [1] ،وهذا النقاد ينطبق تما ما على مشروع الجابري الذي أسسه على المناهج الماركسية .

وتكسرت جهود العلمانيين ـــــ ومنهم الجابري..تحت دعوى الحداثة ، متا ثرين في نقدهم وتوجيهم للوا قع العربي ومشروعه الحضاري المنشود ، بكل المراحل الفكرية والظروف التاريخية التي مرت بها الحداثة الغربية ، وخاصة في علاقتها بالكنيسة ، وأفكار الأنوار في موقفها من الدين ، ودوره في الحياة الإنسانية والعقل المطلق ،وإنكار الغيب قدمت الحداثة العربية نفسها بوصفها امتداد لهذا الفكر الغربي وجعت من مهماتها محاربة المشروع الإسلامي في كافة الصور واخذ إيمان الفكر العلماني العربي بالحداثة الغربية دوره في رسم طريق النهوض والإصلاح في العالم العربي الإسلامي ،متخذا الصراحة العلنية وإسقاط مرحلة الصراع بين الكنيسة والعلماء في أوروبا على المجتمع العربي والدين الإسلامي، فقد عبر احد دعاة الحداثة المعاصرين عن أهداف المشروع العربي الحداثي لانه : «ضد كل مشروع ينوي على مطلقات يقينية ،فإنها كانت النقيض الدائم في الوطن العربي »

نقد محمد عمارة للفكر الحداثي العربي :

أولا : يتناول تحليل الموقف النقدي لدى محمد عمارة في هذه القضية محورين هما : الموقف الفكري ،النظرية الإسلامية في التأويل :

أولا :الموقف الفكري:

[1] /انظر محمد عمارة الإسلام بين التنوير والتنوير ص12

ينطلق محمد عمارة في نقده للمشروع الحداثي من دوافع نهضوية مؤسسة على المرجعية الإسلامية فهو يحدد موقفه من استجدا منهجية التنوير العربي في تجديد العلوم الإسلامية في إطار مشروع النهضة بأنه : «مع الاعتراض الشديد ل استخدام هذه الآليات والمنهجيات الغربية في تجديد العلوم الإسلامية ،وخاصة علماء أصول الدين ،وذلك انطلاقا منان هذا الاستخدام وهذه الاستعارة يتجاهلان الحقيقة الخصوصيات الثقافية في المعارف الإنسانية والمنهجيات البحثية : الأمر الذي تجاوز التفاعل الحضارية وهو المطلوب ليدخل في نطاق التبعية والتقليد »1ويفرق محمد عمارة في نقده بين نظرية المعرفة الإسلامية ،وفلسفة العلم الغربي التي هي : «وضعية مادية ترى أن الواقع المادي هو المصدر الوحيد للعلم والمعرفة ..بينما الفلسفة السلامية في نظرية المعرفة ترى في عالم الغيب ونبا السماء مصدرا للمعرفة يزامل علام الشهادة ،والآيات الكونية المبثوثة في الأنفس والأفاق .. »وعن التأويل الهرمينوطيقي فهو يرى أن الهدف منه انسنة الدين بإحلال الإنسان محل الله 2 ودوره في النص الديني هو ما توحيه القراءة الذاتية للقارئ،وما تحيه كينونة عالم القارئ إلى النص بدل من العكس 3ويترتب على هذا عزل القيمة والأخلاق والإحكام الدنيا عن مصدرها الإلهي ،وإقامة قطيعة معرفية كبرى مع الموروث، والموروث الديني على وجه الخصوص ، حتى «لقد مات المؤلف »للنص المقدس فقد أصبح مستباحا لكل أنواعا التأويلات من كل ألوان القراءة ، وبذلك أحلت الدين الطبيعي مكان الدين الإلهي بعد أن جعلت الإنسان طبيعيا ، وليس ذلك الإنسان الرباني الذي نفخ الله فيه من روحه 4

[1] د: د محمد عمارة فقه المواجهةبين الرب والاسلامص145-146
[2] /راجع د.محمدا لجليد :ابن تيمية ومنهدهفي قضية التاوي

3//انظر محمد ابن حسن الديلمي :بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص3وما بعها اسطنبول ،مطبعة الدولة ؟،جمعية المستشرقين الالماية 1938
4//راجع د.حسن الشافعي :حركة التأويل النسوي للقران والدين وخطرها على البيان العربي وتراثه ص85وما بعدها

هذا عن الموقف الفكري الرافض لاستخدام منهجية التنوير الغربي في تجديد العلوم الإسلامية والتأويل للص الديني الإسلامي ك جانب من مشروع النهضة الحداثي .

ثانيا : النظرية الإسلامية في التأويل :

شغلت هذه القضية المفكرين المسلمين قديما في ضبط وتقعيد قواعد التفسير [1] ودحض أراء الغنوصية و التأويل الباطني [2]وشغلتهم حديثا للرد والدحض لأراء الحداثين العرب في إطار مشروع النهضة الحضارية .وان كانت أراء الحداثين تنطلق من المناهج الغربية في تحليل النصوص الدينية الإسلامية ،بما لهذه المذاهب من أبعاد فكرية علمانية في نشأتها وتبلورها ، فان أراء مفكري الاتجاه الإسلامي تنطلق من دائرة أهل السنة والجماعة في نظرية التأويل لديهم ،التي تقوم بالالتزام بالأسس والضوابط والآليات اللغوية والشرعية كما سيأتي بيانه .

أن مفكرو الاتجاه الإسلامي ، وخاصة مفكرو دار العلوم –ومنهج محمد عمارة –اهتموا بهذا الجانب في الفكر الإسلامي،الذي هو أساس الخلاف بين الحداثين والسلامين ،مما كان له اثر في أن يتصدى محمد عمارة لدحض المناهج العلمانية وبيان الفهم الإسلامي للتأويل وضوابطه في إطار المشروع الفكري للنهضة فقد اتفق محمد عمارة مع ما ذهب إليها أبو الوليد ابن رشد 595ه في موقفه من التأويل والذي هو :«إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل ذالك بعادة لسان العرب في التجوز ، من تسمية الشئ بشبيهه أو بسببه أو يلاحقه ، أو مقارنه ،أو غير ذلك ،من الأشياء التي عددت في تعريف أصناف الكلام المجازي» 3

[1] /راجع:د.محمد السيد الجليد:الامام ابن تيمية ومنهجه في التاويل ص51-52-1973، الهيئة العامة للمطابع الاميرية

[2] /انظر محمد بن الحسن الديلمي :بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص3ومابعدها استانبول، مطبعة الدولة ،جمعية المستشرقين الالمانية

[3] د.محمد عمارة : النص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ص24وما بعدها ط1 1998 دار الفكر المعاصر بيروت –قراة النص الديني بين التاويل الغربي والتأويل الإسلامي ص33

وللتاويل الصحيح شروط منها : ا/ أن يكون المعنى الذي حمل عليه الفظ المؤول معنى محتملا وموافقا لمنطق الوضع اللغوي

ب/وان يكون معنى موافقا للمحكم من آيات القران الكريم،والمتوتر من السنة النبوية

ج/صرف اللفظ بالتأويل إلى المعنى المرجوح بدلا من الظاهر الراجح مشروط بوجود دليل يجعل هذا المرجوح اغلب على الضن من المعنى الظاهر

د/الأهلية العلمية العالية فيمن يتصدى للتأويل [1] وقد افرد محمد عمارة عدة مؤلفات لهذا الجانب ،وكانت أراء ابن رشد في هذه القضية من مواضيع اهتمامه بجانب أراء الكثير من العلماء المسلمين ،وهي تتفق فيما بينها مكونة نظرية إسلامية في التأويل [2]

وكذلك يتفق محمد عمارة مع رأي ابن رشد في أن التأويل لا يشمل كل نصوص الشرع ، بعبارة ابن رشد : «اجمع المسلمون انه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها،ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل »

والنصوص التي يجوز فيها التأويل توجد لها شواهد في نصوص أخرى ،تعيين مواطن التأويل ومواضعه ،فالظاهر سبيل من سبل تحديد مواطن التأويل لأنه : «ما من منطوق به في الشرع ، مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان ، إلا إذا اعتبر وتصفحت سائر أجزائه وجد في ألفاظ الشرع ما يشهد بظاهر لذلك التأويل أو يقارب أن يشهد » هذا وقد اهتم مفكرو الإسلام قديما وحديثا بهذه القضية على تعدد اهتماماتهم بجوانب الفكر الإسلامي

[1] /د.محمد عابد الجابري ، مركز الدراسات الوحدة العربية ط3، بيروت 2002

[2] /انظر: السابق ص45وله مقالات الغلو الديني و اللا ديني ص73ط12003الشروق الدولية والنص الإسلامي بين الاجتهاد والجمود والتاريخية ص24.

والتي تكون في مجموعها «نظرية أسلامية في التأويل »وتحتاج الى جهود متواصلة في التنظير لها ،لمواجهة المناهج الغربية التي يستخدمها أبناء الإسلام من الحداثين ن حيث ينادي كبار علماء الفكر الإسلامي المعاصرين بضرورة بناء نظرية متكاملة في «أصول التأويل العلمية للنصوص العربية الدينية ،كما نمت وتشكلت في إطار ثقافتنا وعلومنا الشرعية ،مع لمحة من النظر الى مقابلاتها في التطور العلمي والفكري المعاصر »1وذلك بهدف التعامل مع النصوص الدينية الإسلامية على نحو يحترم خصوصيتها ،يتناسب مع طبيعتها ،لكي نرد على ديننا ومعتقداتنا ولغتنا وحضارتنا سموم الحداثة التي تهب من الغرب بهدف تدمير عناصر وجودنا الحضاري من لغة وثقافة ودين 2 ولا شك في أن العناصر المتعلقة بمسالة التأويل كثيرة ومتعددة غيي ران أثرنا منها ما يعطي تصورا لدورها في مشروع النهضة ،فتأويل الرسالة القرآنية هو تأويل للإسلام والاختلاف في مرجعية التأويل هو اختلاف في مرجعية المشروع.

فلا يستطيع عاقل أن يزعم وجود شبه بين النسق الفكري الإسلامي وتطوره الحضاري ،وبينما حدث في أوربا «الفعل الكنسي» ومن «رد الفعل التنويري »وعلى هذا فلا مجال لاستدعاء هذا التنوير الأوربي ليكون تنويرا لنا نحن المسلمين 3هذا عن تحليل الموقف النقدي من المنهج الحداثي في خطابه النهضوي ،فهل ضلت فصائل الصحوة الإسلامية العاملة من اجل الإصلاح والتغيير في العالم الإسلامي بمنأى عن الزلل والانحراف في دعوتها إلى النهوض والتقدم؟.

نقد محمد عمارة للفكر الحداثي الجابري نموذجا :

[1] د.حسن الشافعي :حركة التأويل النسوي للقران والدين ص57
[2] /انظر : السابق ص72
[3] /د.محمد عمارة الإسلام بين التنوير والتزوير ص24

إن دعوى الحداثة التي يزعمها الخطاب الحداثي لدى الجابري والتي تقوم على تجديد الفكر الماركسي في العالم العربي والإسلامي على أساس منهجه في تبيئة الماركسية فهذه الدعوة مرفوضة جملة ومضمونا للأسباب التالية :

أولا على مستوى العقيدة : وجد مفكرو الإسلام في هذه الفلسفة الماركسية ،نفيا للدين ،وإنكارا لوجود الخالق ،لأنها تأسست على الداروينية التي ترى أن الإنسان ليس سوى امتداد لهذا العالم الطبيعي ،وان الحياة الدينية تعود لعوامل طبيعية صرفة 1 وموقف هذه الفلسفة من العقائد يقوم على نقدها من اجل إنكارها وتنحيتها ،فان نقد الدين شرط لكل نقد ،والمسالة الدينية مسالة ضياع ديني ،هي مسالة وضع وجودي للإنسان يضع فيه وجوده،وتضيع نفسه في الحياة الدينية ،وفي الحقيقة الدينية على السواء 2

ولهذا الموقف من العقائد ،فان الاتجاه الماركسي يخطط لترويج الإلحاد والسخرية بالقيم الدينية وبرجال الدين ،كي يتسع الفراغ للايدولوجيا التي تحتضنها ،أيدلوجيا الجانب الحيواني فيه3فمظهرها في العقيدة هو إنكار الإلوهية ،وتتبع رجال الدين وإسقاط هيبتهم بكل صورة ممكنة في الإذاعة والتلفزيون وفي الندوات والمناقشات العامة 4وتفسير التاريخ بالعامل الاقتصادي وإنكار الروابط الأسرية

ثانيا : على المستوى الثقافي :

حيث التقت ،الداروينية مع الموقف من الكنيسة الغربية ،مما أدى إلى ظهور الوضعية كرد فعل عنيف ومضاد للموقف الكنسي الذي جعل المعرفة شانا سماويا خالصا لا مكان فيه للواقع ،فجعلت النهضة الغربية الحديثة من الواقع المحسوس المصدر الوحيد للمعرفة ،وتصاعد رد الفعل بالتيارات الوضعية إلى حد الزعم بان الدين وضع بشري ،وليس

[1] انظر:د.محمود قاسم :جمال الدين الأفغاني حياته وفلسفته ص 213-216 الانجلو مصرية القاهرة ،د.ت
[2] /جان ايف كالفير :تفكير كارل ماركس ص62 ترجمة : سامي ألدروبي جمال الاتاسي 1959دار اليقظة العربية دمشق
[3] /انظر :د.محمد البهى :الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر ومشكلات الحكم والتوجيه ص42 ط1 1982دار الكتاب اللبناني ،بيروت
[4] /انظر: السابقص254

وضعا ألاهيا ،وذلك عندما أنكرت الوحي كمصدر من مصادر المعرفة الحقيقية ،واعتبرتها ميتافيزيقا وخيالات [1]

فان محمد عماره يؤكد من خلال تجربته بقوله :إن الماركسية كما يعلمها المبتدئون والمتعمقون وأنا واحد من الذين درسوها وعاشوا تجربتها النظرية والعملية لما يقرب من نصف قرن هي فلسفه ماديه ترى إن المادة مستكفية بذاتها مستغنية عن خالق يوجدها [2] هذا الإنكار للخالق هو الركيزة الأولى للماركسيين٣ [3] قدمت للمجال الثقافي نظريه البناء الفوقي والبناء التحتي والقاعدة المادية فالمادة والواقع الاقتصادي هما مصدر كل ألوان الفكر الذي هو البناء الفوقي الذي تصنعه وتشكله المادة والواقع ليعود ثانيه هذا الفكر ليؤثر في الواقع [4] في المادة والواقع الاقتصادي هم القاعدة التي يتشكل فيها ويخرج منها و يصدر عنها الفكر بكل ألوانه المفاهيم والإحكام والنظريات والديانات٥

ثالثا :على المستوى الفكري موقف الفكر الإسلامي المعاصر من قضيه تبيئه المفاهيم والمناهج الماركسية في الثقافة العربية

وجدت هذه ألطريقه التي يتبعها الاتجاه الحداثة الألماني في العالم الإسلامي رفضا نهائيا من مفكرين الاتجاه الإسلامي في المغرب والمشرق ففي المغرب يهتم المفكر الإسلامي الدكتور طه عبد الرحمن في مشروع الفكري بنقد المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري٦ وفيما يخص موقف طه عبد الرحمن من قضيه طبيعة المفاهيم الماركسية فانه يذهب إلى

ا /المفاهيم التي استخدمها الجابري في مشروعه لنقد العقل العربي مفاهيم مقحمه في التراث وانعكست عليه بما لا يوافق بنيته لان هذه الآليات وضعت في أصلها لموضوعات مغايره لموضوع التراث وعلى مقتضى شروطي مخالفه لشروطه فيكون إنزالها على التراث

[1] /انظر:د.محمد عمارة :إسلامية المعرفة ما تعني ؟ص94
[2] /د.مرادوهبة :المعجم الفلسفي:مادة مادي مذهب القاهرة 1971
[3] /انظر: محمد عمارة التفسير الماركسي للاسلامص34
[4] /انظر : السابق ص35

من غير ممارسه اشد أساليب النقد عليها في إخراجه التراث على صوره لا تحافظ على بنيته إن لم تفصل بين أجزائه وعناصره فصلا وتقابل بينها مقابله ضاربه بعضها ببعض [1]

ب /ولأنها منهجيه منقولة لا موصولة بمعنى إنها لا تستوفي شروط المنطقية للموضوع الذي تنزل عليه لأنها مستعارة من مجالات المعرفية مغايره لهذا المجال الذي تسلط عليه من غير مراجعه صفاتها الاجرائيةِ ومراعاة الخصوصيات المنطقية لهذا المجال [2] لهذا فان مشروع الجابري أتى من الثغرات في المنهج وفي المعلومات ما يرفع عن قراءتها في التراث القيمة العلمية المزعومة ويشكك استثمار لمقرراتها في الدرس التراثي [3] ولا شك إن هذا نقد منهجي يقوم على أساس اعتبار الفرق بين التجربة الغربية وانعكاساتها على مناهجها ومفاهيمها الوضعية والتجربة الإسلامية التي مصدرها الوحي السماوي وأثاره في الحركة العلمية التي تكونت من خلالها العلوم الإسلامية ومناهجها ومفاهيمها الخاصة بها

ومن مفكرين المشرق الذين يرفضون التبيئه للمناهج الغربية في دراسة العلوم الإسلاميةِ الدكتور محمد عماره ويتحدد موقفه بالعناصر الآتية :

انه يعترض على استخدام فلسفه العلم الغربي كما صاغتها المناهج المعرفية الغربية والتأويل بمعناها الغربي :السيميا والهرم منطقه وتاريخ النصوص في تجديد العلوم الإسلاميةِ وخاصة علم أصول الدين وذلك لان هذا الاستخدام وهذه الاستعارة يتجاهلان حقيقة الخصوصيات الحضارية والثقافية في المعارف الإنسانيةِ والمنهجيات البحرية

٢ هذه التبيئه تتجاوز نطاق التفاعل الحضاري وهو مطلوب لتدخل في نطاق التبعية والتقليد وتتجاهل الفروق في الفكر بين ما هو خصوصية حضاريه وثقافيه وما هو مشترك أنساني عام١

[1] /انظر:السابق ص26
[2] /انظر: السابق ص65-66
[3] /انظر: السابق ص65-66

٢ :يجب الحذر من النهج الوضعي الذي يتعامل مع العلوم الإنسانية تعامله مع العلوم الطبيعية والتجريبية في مناهج التعامل مع النص الأدبي ليست هي مناهج التعامل مع علوم الفلك والفيزياء وكذلك الحال في مناهج التعامل مع النص الديني ومع العلوم الإنسانية والاجتماعيه٢ [1]وعلى التيارات الفكرية العربية المعاصرة كي تكون فعلا في خدمه الإنسان المسلم لبناء أمته الإسلامية -إن تعيد النظر فيما لديه وذلك على مستويات ثلاثة :

المستوى الأول :مدام معرفتها بآصاله تراثها وعطائها الإسلامي للاكتفاء بتكرار رؤوس الموضوعات واجترار القصص والحكايات بدون استيعاب معتمد على قدرات مناهج العصر لا استلابياته

المستوى الثاني :-الابتعاد عن المجازفة بالشعارات التمذهبيه التي تعني كل شيء ولا تعني إي شيء محدد والأولى التعرف على عمق المذاهب المعاصرة لا مجرد التحلي بشعاراتها

المستوى الثالث :التعرف على واقع المجتمع العربي المعاصر من خلال ما يراه و يلمسه في القرى والبوادي وتكون أحاسيسه هي أحاسيس الملايين من عناصر الأمة [2]لهذا فان المجتمعات العربية ليست في حاجه إلى المزيد من تسويق المتاهات المستوردة من أي جهة كانت بهدف تمزيقنا في المحافل الدولية للمراهنات التي سوف تقول بنا في النهاية بعد تحفيه الإقدام وتجويع البطون و تعريه الأجساد إلى تعريه وفناء الذات لذا فعلنا أن نثق في ذاتنا وأننا امة ذات رسالة خالدة لإسعاد الإنسان لا على ارض الإسلام فحسب بل في كل مكان

[1] /انظرا: السابق ص53

[2] /انظر رشدي فكار :في الماركسية والدين ص45-46مكتبة المعارف المغرب 1977